السحر في الشعوذة

اهتم القراء بما ذكرناهُ في مقتطف دسمبر من تعليل بعض الاعمال الغريبة وردّها كلها الى الخداع او الشعوذة من جهة الناظرين والى الاستهواء او الانخداع من جهة مشاهديها . فانكر بعضهم علينا ان تكون تلك الاعمال كلها من قبيل الشعوذة وحسبوا اننا ننكر التنويم بالاستهواء ونحن انما ننكر اعمال الذين يتناولون لتجوز حيلهم على المشاهدين واما التنويم فلا ننكرهُ .

ومن غريب الاتفاق ان المستر كارلتن المشعوذ المشهور الذي رأيناهُ في هذه العاصمة يجول بين المشاهدين معصوب العينين ويهتدي الى ما خبأوهُ مدعياً انهُ يفعل ذلك بقراءة الافكار او ما شابهها وكانت صورتهُ في ذهننا ونحن نكتب ما كتبناهُ في مقتطف دسمبر — هذا الرجل نفسهُ كتب مقالةً في هذا الموضوع في مجلة الستراند الانكليزية ظهر بعضها في شهر دسمبر والبعض الآخر في شهر يناير وبيّن فيها كيف خدع الناس في اوربا واميركا وفي مصر ايضاً . وها نحن ملخصون مقالتهُ فيما يلي

بدأ القسم الاول من مقالتهِ بوصف ما فعلهُ في مدينة برمنگهم ببلاد الانكليز قال جاء في مخبر من قبل جريدة برمنگهم المسماة الاحوال والمرآة وجعل يحدثني عن انتقال الافكار (تلبثي) وكان من رأيهِ ان هذا الانتقال امر لا ريب فيهِ . فباحثتهُ في هذا الموضوع ولما رأيتهُ متشبثاً برأيهِ تظاهرت بموافقتهِ فقال لي هل تستطيع ان تقرأ افكار غيرك فقلت لهُ نعم اذا توفّرت بعض الشروط فاذا خبأتَ شيئاً في مكان ما من هذه المدينة فاني استطيع ان اقرأ افكارك فاعلم محلهُ واهتدي اليهِ بل لو عصبتَ عينيَّ حتى لا ارى فاني اصل الى الشيء المخبإ اذا مشيتَ معي وصمّمتَ على ان تهديني الطريق بفكرك ولو لم تنطق بكلمة فان فكرك يهديني الى المكان الذي خبأت بهِ ما خبأت ويسدّد خطواتي اليهِ

وبعد اسبوع حدث ما قدّرت حدوثهُ وقد وصفتهُ الجريدة الصادرة في ٥ فبراير سنة ١٩٠٧ فقالت ما خلاصتهُ ان كارلتن المشعوذ المشهور الذي يبلع السيوف ويعمل الاعمال المدهشة ارانا عصر هذا اليوم ما زاد دهشتنا فقد كان احد مخبرينا يذاكرهُ منذ ايام في امر قراءة الافكار فقال انهُ يعلم شيئاً من ذلك ووعد ان يمشي في شوارع برمنگهم معصوب العينين ويهتدي الى شيء خبأناهُ لهُ واذا لم يهتدِ اليهِ دفع عشرة جنيهات لاي معهد خيري اردنا .

ولم يشترط علينا الاَّ ان يرى الشيء الذي كنا عازمين ان نخبئهُ . فاراهُ مندوبنا خلقاً ملفوفاً بشيء من القطن المصبوغ باللون القرنفلي وموضوعاً في علبة بيضاء ثم ذهب بهِ وحدهُ الى اكمة برلدن ووضع العلبة التي فيها القلم في عجلة مدفع من المدافع التي هناك ولم يخبر احداً بما فعل . وعند الساعة ٣ ١ بعد ظهر اليوم عُصبت عينا كارلتن وطلب من الرجل الذي خبأ القلم ان يتبعهُ قريباً منهُ و يوجه افكارهُ الى المكان الذي خبأ فيهِ القلم ثم مشى متلمساً كالاعمى ومشى وراءهُ خلق كثير لا يقل عددهم عن اثني نفس . فاتجه اولاً نحو المدينة ثم انقلب راجعاً الى ان وصل الى طرف الساحة التي ابتدأ منها فوقف هنيهة ثم سدَّد خطواتهِ نحو اكمة برلدن ودار في بعض الشوارع وعاد الى جهة الاكمة فاسرع العدو اليها حتى اذا بلغها جعل يتعثر ومَن لا يتعثر هناك ولو لم يكن معصوب العينين . واتجه اولاً نحو الآبار ثم عاد نحو المدينة وارتدَّ وطاف حول البرج الذي على الاكمة ثم قصد مدفعاً من المدافع الروسية الموضوعة هناك وجعل يتلمَّس الى ان بلغ محور العجلة وهناك حفرة في المحور وكانت العلبة التي فيها القلم مخبأة فيها فاستخرجها منها والحال علا هتاف الجمهور الذي تبعهُ الى اعلى التلة حتى شقَّ عنان السماء . وحينئذٍ صفر احد رجال البوليس وقال انهُ أُغمي على كارلتن وجعل البوليس يبعد عنهُ الجمع المزدحم عليهِ وأُسعف بالمنبهات والمنشات حتى افاق فقال اين انا الآن وهل وجدت الخبيئة . ثم حملهُ الجمع على الايدي وهو راجع لشدة اعجابهم بهِ . انتهى

واصرِّح الآن على رؤوس الاشهاد انهُ لم يكن فيما فعلتهُ لا قراءة افكار ولا انتقال افكار وانما كان حيلة خدعتُ بها ذلك الجمع كما سيجيء مفصَّلاً

نعم انني كنت معصوب العينين في مدينة لا اعرف شوارعها ولم يكن لي اقل اتصال بالذي خبأ القلم ولا بغيره ولم يخبرني احد عن مخبإهِ ولا عن الجهة التي كان مخبأً فيها ولم اكن اعرف شيئاً عن المكان الذي خبيء فيهِ ولا في اي حي من المدينة هو ولذلك لا أعجب من استغراب الناس ما فعلت وحسبانهم انني فعلتهُ بقوة تفوق القوى الطبيعية وبوسيلة تفوق الوسائل المادية . واتفق جمهورهم على ان هذه الوسيلة هي انتقال الافكار (التلبثي) اي ان الرجل الذي خبأ القلم انتقل فكرهُ الى ذهني وارشدني الى المكان الذي خبأهُ فيهِ . وقد كتبت اليَّ جمعية المباحث النفسية بعد ذلك تحذرني من عاقبة اجهاد قوى نفسي . والحقيقة انني اجهدت نفسي كثيراً ولكن ليس بالمعنى الذي فهمتهُ تلك الجمعية ولا على الاسلوب الذي ظنتهُ

ولم اشأ ان اظهر خبيئة امري حينئذٍ بل كررت الضحك على الناس بعد ذلك مراراً

عديدة في اماكن مختلفة فذهبت الى ايطاليا وادهشت علماءها واساتذة مدارسها وخدعت السحرة والمشعوذين في مصر والهند وسائر الاقطار الشرقية . الاّ ان محرري الجرائد الانكليزية كانوا اقل الناس تصديقاً لدعواي . عرضت مرة ان اكشف المخبأ في مدينة باث لدى محرري جريدتها فابوا فعرضت ان اكشفهُ في ادارتهم فرّضوا بذلك وعصبوا عينيَّ بمنديل ثخين بعد ان غطوهما بالقطن الكثير . وقلت لواحد من المحررين خذ قطعة طباشير وارسم بها خطاً على الارض من الغرفة التي كنت فيها الى حيث تشاء من الغرف الكثيرة العليا والسفلى الى ان تصل الى مكان تخبئ فيهِ شيئاً فاني اقدران امشي على هذا الخط والتبعهُ في كل تعاريجهِ وانا مغمض العينين الى ان اصل الى الشيء الذي خبأتهُ على شرط ان تمشي الى جانبي قريباً مني وتوجه افكارك كلها الى المكان الذي فيهِ المخبأ . ففعل وسار معي فشيت على خط الطباشير حتى وصلت الى المخبأ ولم اخطئهُ مع ان خط الطباشير مرَّ بين آلات الطباعة وتحت الموائد والكراسي وصعد الى غرف عليا ونزل الى غرف سفلى . فدهش محررو الجريدة مما فعلت ورضي المحرر الاول ان اجرب ذلك في المدينة علانية وان يخبأ لي شيء على بعد ميلين من ادارة جريدتهِ . وذهب مخبر الجريدة ليلاً وخبأ شيئاً في الارض داخل باب روض المدينة . وعُصبت عيناي في الصباح وسرت والمخبر معي الى ان وصلت الى باب الروض ففتحتهُ وجعلت اتلمس الى ان وصلت الى المكان الذي وضعت فيهِ الخبيئة فاخرجتها واذا هي ظرف ازرق فيهِ رزمة من المفاتيح . وقد جاء وصف ذلك في تلك الجريدة بالتفصيل من قلم المخبر نفسهِ ومما جاء فيهِ اني لما وصلت الى مكان الخبيئة كان جبيني يصب عرقاً كأني عملت اشق الاعمال وان المخبر نفسهُ كان قد تعب تعباً شديداً لانهُ كان موجهاً كل افكارهِ دائماً الى مكان الخبيئة لكي يرشدني اليها بافكارهِ واني صرت في نفس الطريق الذي سار فيهِ لما مضى لتخبئتها

والغالب ان ما كان يخبأ لي لم يكن ثميناً ولا كان ينتظر ان آخذهُ اذا وجدتهُ ولكن حدث ما يخالف ذلك في مدينة اوكلند بكاليفورنيا من اميركا فان صاحب جريدة التريبون في تلك المدينة اقترح ان يخبئ لي ٢٥ ريالاً وهي لي اذا اكتشفتها واعلن ذلك في جريدتهِ واختار سكرتير غرفة التجارة في اوكلند ليخبئ الدراهم ويسير معي لارشادي بافكارهِ وهو رجل مشهور بصدقهِ واستقامتهِ فضلاً عن انهُ من اغنى اهل تلك المدينة . فقبلت الشرط وذهب السكرتير وخبأ كيس الدراهم في موقف احد رجال البوليس في المدينة فاهتديت اليهِ وانا معصوب العينين كما اهتديت الى غيرهِ

اما تعليل اهتدائي الى الخبايا فهو اني أوتيت منذ سنين كثيرة تمرين اعضائي وعضلاتي حتى صرت افعل افعالاً لا تُصدَّق فاستطيع مثلاً ان اطيل قامتي او اقصرها بمط عضلات ساقيَّ وفخذيَّ وبطني وصدري واوتارها . واستطيع ان احرك اذنيَّ الى الامام والوراء كما تفعل بعض العجماوات وما ذلك الاَّ بالتمرُّن المستمر . ومرَّنت ايضاً عضلات جبيني التي تحرك حاجبيَّ حتى صرت ارفعها واخفضها بشدَّة وهي اصلاً عضلات قوية الفعل كما يتضح لمن يضع كفهُ على حاجبيهِ و يضغط عليهما ثم يرفعهما فيرتفعان رغماً عن ضغط كفيهِ فزادت بالتمرين قوةً . وقضيت ساعة كل يوم مدة اشهر كثيرة وانا اغمض عيني والجمها وامرّن عضلات جبيني حتى اذا عصبت عيناي بعصابة استطيع رفعها عنهما ولو قليلاً بمجرد فتح عينيَّ ورفع حاجبيَّ . واذا اراد احد ان ينظر ليرى هل العصابة لا تزال كما كانت فليس عليَّ الاَّ ان اغمض عيني واخفض حاجبيَّ فيرى أن العصابة لا تزال على حالها

وربَّ قارئ يقول ان فتحك لعينيك ورفعك لحاجبيك لا يفسِّر كيف اهتديت الى الخبايا وانت لا تعلم محلها فاقول لهُ على رسلك تمهل فتجد كيف كنت اهتدي اليها فاولاً لما طلبت من احد محرري الجرائد ان يرسم خطًّا بالطباشير على الارض في دار تلك الجريدة يمر في غرفها المختلفة و ينتهي الى حيث وضع الخبيئة وان يمشي ورائي و يوجه فكرهُ اليَّ قاصداً ان يرشدني بفكرهِ الى الخبيئة بحيث اسير على خط الطباشير الذي رسمهُ لم يكن قولي هذا انهُ الاَّ من باب ايهامهِ بانهُ هو المرشد لي مع ان المرشد لي حقيقة هو خط الطباشير الذي كنت اراهُ . وكنت ازيح هذا الوهم في اذهان كل الذين يرشدونني بقولي لهم انهم اذا استطاعوا ان يوجهوا كل قوة ارادتهم اليَّ فاني اقف عند مفترق كل طريق من الطرق التي امامي وفعلاً كنت اقف دائماً عند مفترق الطرق فيزيد كلامي رسوخاً في اذهانهم وكنت اطلب من الذين يعصبون عيني ان يضعوا عليهما القطن قبل عصبهما وان يوسعوا العصابة زيادة في التعمية بل في التذليل لان الله اعطاني عينين جاحظتين وانفاً كبيراً بارزاً فاذا اتسعت العصابة زاد وقوفها بغرضي لاني كنت افتح عيني وارفع حاجبيَّ فاصير ارى امام قدميَّ . ولما مشيت على خط الطباشير كنت اراهُ واضحاً ولم اطلب من راشدي ان يمشي معي الاَّ لاجعلهُ يعتقد انهُ كان يرشدني بارادته . وكثيراً ما كنت اتلمَّس في طريقي كالاعمى واخبط خبط عشواء وذلك كلهُ تضليلاً للافكار لكي يعتقد الذين كانوا معي اني لم اكن ارى شيئاً

الاَّ أن السير على خط الطباشير كان امراً سهلاً جداً في جنب السير في الشوارع حيث

لا شيء يرشدني الاَّ ما استنتجهُ من حركات مرشدي الذي لم يُسمح لهُ ان يكلمني او يلمسني

ولما كنت ادرّب نفسي على هذا العمل رأيت انهُ لا يمكنني ان ارى غير حذاء المرشد فعليَّ ان ارتشد بهِ لا غير فجعلت ادرس اشكال الاحذية ووقفات لابسيها حتى صرت اذا رأيت حذاءً احفظ صورتهُ في ذهني واميزهُ عن سائر الاحذية واعرف لابس الحذاء من حذائهِ

فلما خبئت لي المئتان والخمسون ريالاً في مدينة اوكلند بكليفورنيا قدَّم اليَّ الرجل الذي خبأها ليرشدني اليها بفكرهِ فنظرت الى حذائهِ حتى رسخت صورتهُ في ذهني ثم خاطبتهُ بقولي لهُ ان نجاحي وفشلي يتوقفان عليك وحدك فانت هو الفاعل وانا آلة في يدك فيجب عليك ان توجه كل فكرك الى ارشادي فاذا عجزتَ عن ذلك عجزتُ انا ايضاً عن الوصول الى الخبيئة فسرَّ وراقني تمامًا حتى اذا وجدتني سائراً في الطريق المؤدي الى الغرض رضيت عن عملي وامرتني في ذهنك ان اتقدَّم في سيري واذا رأيتني ضالاً فتوقَّف وقل لي في ذهنك لاتقف واغير طريقي . وغاية ما اطلبهُ منك ان لا تأمرني في ذهنك لاضل الطريق

وهذا الكلام كلهُ هذر وتضليل ولكنهُ اثَّر في سامعيَّ ولاسيما في الرجل الذي كنت اخاطبهُ وانا اتأمل في حذائيهِ لكي لا انسى صورتهما

ثم عُصبت عيناي جيداً وفحص العصابة بعض الحضور وقال واحد منهم وهو وجيه يفهم انهُ ان كنتُ ارى بعينيَّ بعد هذا التعصيب فبصري يخترق حجب الغيب . ولما رأيت ان الجميع امَّنوا على كلامهِ واعتقدوا اني صرت اعمى لا ارى شيئًا جعلت امشي واتعثَّر واتلمس كما يفعل الاعمى ولكنني رفعت حاجبي ودرت ونظرت الى حذاء دليلي وكانت اصابع قدميهِ متجهة الى الجهة التي يريد ان اسير فيها فسرت في تلك الجهة . وكنت قبل ذلك قد جلت في المدينة حتى عرفت طرقها وشوارعها جيداً وكنت اعلم ايضاً ان كيس النقود مخبأٌ في مكان يبعد عن ادارة الجريدة من ميل الى ميلين فجعلت اتلمَّس الجدران في الشوارع الضيقة وارى خطوط الترام في الشوارع الواسعة ولكنني لا اسير عليها بل اسير في خط متعرج لكي يرسخ في الاذهان اني غير عارف اين انا حتى اذا انتهيت الى آخر الشارع بقيت على تلمسي ودرت في دائرة لكي ارى حذاء دليلي واتبيَّن اتجاه قدميهِ . وكثيراً ما كنت ادعي الى سائر على غير هدًى واخاطب الدليل بقولي لهُ انك غير موجهٍ كل ذهنك الى ارشادي فارجو ان تبذل جهدك في هدايتي لانني لا استطيع ان اهتدي بغيرك وعلمَّ جرًّا من الكلام الذي يُبعد الناس عن اكتشاف حيلتي . وكنت اكرر ذلك عند كل لفتة وحوَّلة على اساليب

مختلفة لكي لا اثير الشبهات اذا جريت على اسلوب واحد . وكان لا بدَّ لي من ان اسير كما يسير الاعمى تماماً فكنت اذا وصلت الى مشبَّك في الارض فوق مجرى من مجاري المياه احاول قياسهُ باحدى رجلي لارى هل استطيع العبور من فوقهِ او يجب ان ادور حولهُ واذا وصلت الى حفرة غير عميقة لا احاول تجنبها بل اقع فيها ولو آذيت نفسي فان قليلاً من الالم خير من اتهامي بالخديعة

وهكذا انتهت هذه السياحة بين تأس وخبط وتردُّد وتعثُّر الى ان وصلت الى المكان الذي خبئت فيهِ النقود ومرشدي اليها حذاؤه دليلي وانا اراهُ يعينيَّ من بين العصابة ووجهي ولم اقتل في هذه النوبة ولا في غيرها

واتفق مرةً ان ارتخت العصابة وانحدرت قليلاً فتعذرت عليَّ الرؤية فلجأت الى الحيلة وتظاهرت باني عثرت بشيء وسقطت على وجهي فوقعت العصابة عن عيني فاشرت الى الدليل حتى بادر اليَّ وربطها ثانية

واقول في الختام ان كثيرين فسروا اعمالي على طرق شتى ولكن ما من احد منهم اصاب المحزَّ . وبعض هذه التفاسير يستحق النظر فقي اوكلند كان المبرِّق يبوق على سبيل الاعلان فقال البعض انني كنت متفقاً معهُ على اصوات مخصوصة يخرجها من بوقهِ فارتشد بها وقال غيرهم ان جسمي كان متصلاً بجسم الدليل بخيوط دقيقة لا ترى فكان يرشدني بها . وقال احد الشيوخ في القاهرة ان الذي يمشي امامي كان متعطراً بعطر مخصوص فاشم رائحتهُ وارتشد بها كما يرتشد الكلب برائحة صاحبهِ . انتهى

فهذا مثال من امثلة كثيرة قام اصحابها وكشفوا سر صناعتهم بعد ان اكتسبوا بها اموالاً طائلة وخدعوا الناس سنين كثيرة

ولا شبهة ان كل ما يعملهُ المشعوذون من الاعمال الغريبة المدهشة يتوصلون اليهِ بوسائل طبيعية اذا كشفوها لم يوجد فيها غير الحيلة والخفَّة واستعمال بعض الامور الطبيعية المعروفة . ولكن بعض الذين يشاهدون اعمال المشعوذين قد يرون فيها خوارق لم يعملها المشعوذون . وبذلك تفسَّر امور كثيرة يقال انها حدثت فعلاً وهي مما يأبى العقل التسليم بحدوثها كما سيجيء في مقالة اخرى